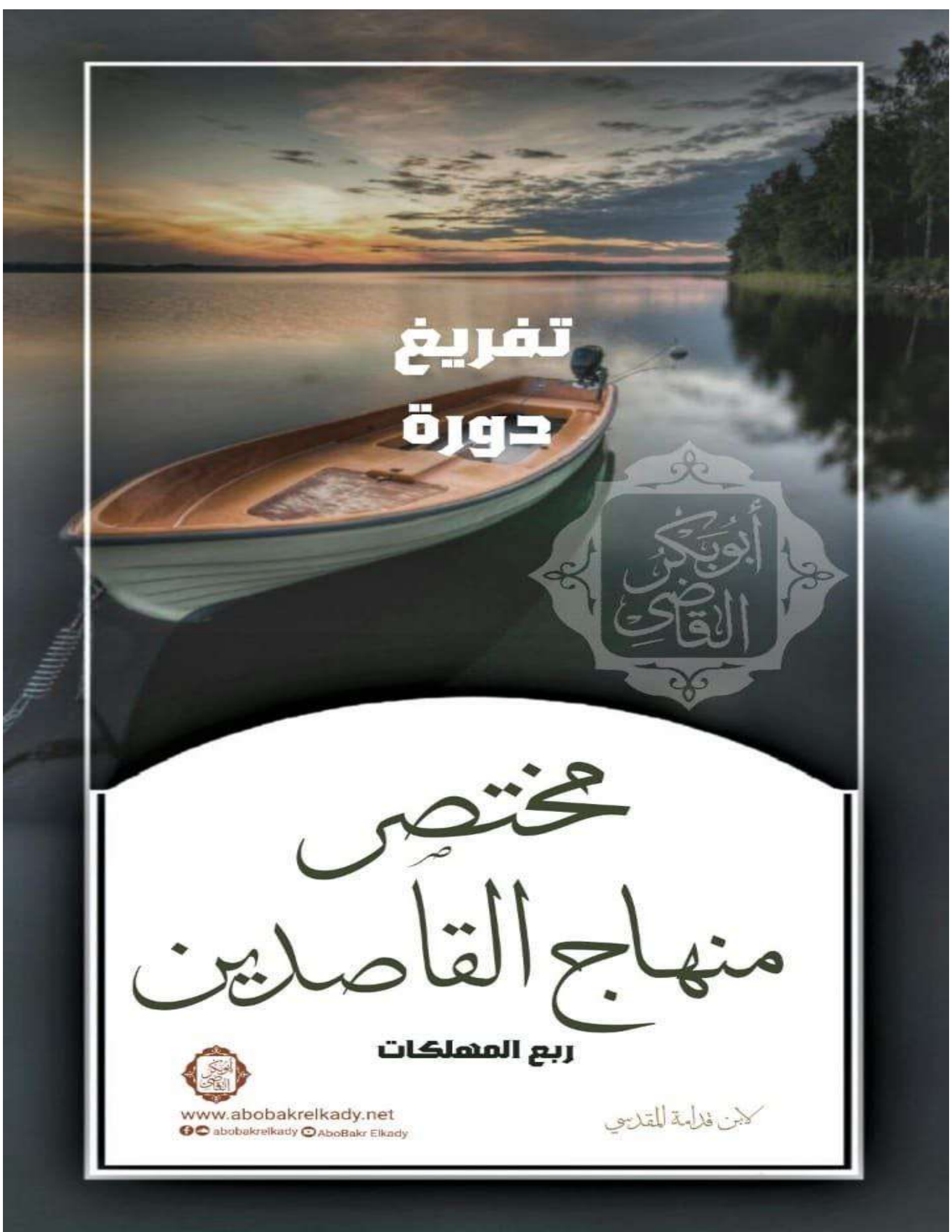

تفريغ

دورة

أبو بكر القاضي

مختصر منهاج القاصدين

ربع المهلكات

لابن قدامة المقدسي

www.abobakrelkady.net

abobakrelkady AboBakr Elkady

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثمّ أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثمّ أما بعد:

- لا زلنا مع كتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة -رحمه الله تعالى-:

❖ **[القسم الثاني من الكتاب: في بيان الرياء وحقيقته وأقسامه وذمه ونحو ذلك]**

قال: "وقد ورد ذم الرياء في الكتاب والسنة، من ذلك قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ} [الماعون: ٤-٦]، وقوله: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

إذًا العمل الصالح الذي يصلح أن يعرض على الله لا بد أن يتوفر فيه شرطان: الإخلاص والمتابعة.

- الإخلاص: لوجه الله عزوجل.
- والمتابعة: للنبي محمدﷺ.

والرياء هو داء دوي: وهو طلب رؤية الناس للأعمال، وأصله أنه تعلق القلوب بالجاه في قلوب الخلق. أن يتعلق قلبك بأن يكون لك وجاهة وجاه في قلوب الخلق ولو كان هذا الأمر بالدين.

قال: "وأما الأحاديث، فقد روى عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه عزوجل أنه قال: " مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ" [صحيح مسلم].

وفي حديث آخر، أن رسول الله ﷺ قال: " إنَّ أخوَفَ ما أخافُ عليكمُ الشِّركُ الأصغَرُ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، وما الشِّركُ الأصغَرُ؟ قال: الرياءُ، يَقولُ اللهُ لهم يومَ يُجازي العبادَ بأعمالِهم: اذهَبوا على الذين كنتم تُراؤونَ في الدنيا، فانظُروا، هل تَجِدونَ عندَهم جَزاءً" [تخريج شرح السنة].

وقال بشر الحافي: "لأن أطلب الدنيا بمزمار أحب إلى من أن أطلبها بالدين".

هذا هو سر قبح المسألة: أن الدين إنما يُطلب به شيءٍ غالٍ جدًا -وهو الآخرة، أما الدنيا لخستها فهي لا تطلب أبدًا بالدين، قد تطلب بالدنيا وفي إطار مباح، ولا تتشبع بما لم تعط.

يعني أنك تعرض السيرة الذاتية الخاصة بك، ممكن تعرض شهاداتك لتطلب بذلك أجرًا تقيم به حياتك، تطلب الدنيا بالدنيا لكن أن تطلب بالدين هذا أمر قبيح.

قال: "واعلم: أن الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، فالمرائي يرى الناس ما يطلب به الحظوة عندهم وذلك أقسام:

الأول: الرياء في الدين، وهو أنواع:

- **أحدهما:** أن يكون من جهة البدن، بإظهار النحول والصفار؛ ليريهم بذلك شدة الاجتهاد، وغلبة خوف الآخرة، وكذلك يرائي بتشعيث الشعر؛ ليظهر أنه مستغرق في هم الدين، لا يتفرغ لتسريح شعره.

ويقرب من هذا خفض الصوت، وإغارة العينين، وذبول الشفتين؛ ليدل بذلك على أنه مواظب على الصوم، ولهذا قال عيسى بن مريم عليه السلام: "إذا صام أحدكم فليدهن رأسه، ويرجل شعره"، وذلك لما يخاف على الصائم من آفات الرياء، فهذا الرياء من جهة البدن لأهل الدين.

- **وأما أهل الدنيا**: فيراؤون بإظهار السمن، وصفاء اللون، واعتدال القامة، وحسن الوجه، ونظافة البدن.

النوع الثاني: الرياء من جهة الزي.

كالإطراق حالة المشي، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب، ولبس الصوف، وتشمير الثياب كثيرًا، وتقصير الأكمام، وترك الثوب مخرقًا غير نظيف.

ومن ذلك لبس المرقعة، والثياب الزرق تشبهًا بالصوفية مع الإفلاس من صفاتهم في الباطن.

- طبعًا لا يقصد الصوفية المنحرفة، وإنما يقصد الصوفية الذين هم فقط مجتهدون في العبادة ولا يخرجون عن إطار سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنه التقنع فوق العمامة، لتنصرف إليه الأعين بالتمييز بتلك العادة.

وهؤلاء طبقات: منهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح، بإظهار التزهد بلبس الثياب المخرقة الوسخة الغليظة؛ ليرائي بذلك، ولو كلف هذا أن يلبس ثوبًا وسطًا نظيفًا مما كان السلف يلبسونه، لكان عنده بمنزلة الذبح؛ لخوفه أن يقول الناس: "قد بدا له من الزهد، وقد رجع عن تلك الطريقة".

- قضيته كلها ماذا يقول الناس، وليست قضيته وجاهته عند الله عز وجل.

وطبقة أخرى: يطلبون القبول عند أهل الصلاح، وعند أهل الدنيا من الملوك والأمراء والتجار، فلو لبسوا الثياب الفاخرة لم تقبلهم القراء أهل الصلاح، ولو لبسوا المخرقة الدنية لازدرتهم الملوك والأغنياء، فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا، فيطلبون الأثواب الرقيقة، والأكسية الرفيعة والفوط الرفيعة فيلبسونها، وأقل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب الغنى، ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء، فيلتمسون القبول عند الفريقين.

- وهذا كان في عصره.

وهؤلاء لو كلفوا لبس خشن أو وسخ، لكان عندهم كالذبح؛ خوفًا من السقوط في أعين الملوك والأغنياء، ولو كلفوا لبس الرقيق ورفيع الكتان الأبيض ونحو ذلك، لعظم ذلك عليهم خوفًا من أن تنحط منزلتهم عند أهل الصلاح، وكل مراء بزي مخصوص ثقل عليه الانتقال إلى ما دونه أو فوقه خوفًا من المذمة.

وأما أهل الدنيا: فمراءاتهم بالثياب النفيسة، والمراكب الحسنة، وأنواع التجميل في الملبس والمسكن وأثاث البيت، وهم في بيوتهم يلبسون الثياب الخشنة، ويشتد عليهم أن يروا بتلك المنزلة.

النوع الثالث: الرياء بالقول.

- ورياء أهل الدين: بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار؛ لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، والدلالة على شدة العناية بأحوال السلف، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، وإظهار الغضب للمنكرات بين الناس، وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن، ليدل بذلك على الخوف والحزن ونحو ذلك.

- وأما أهل الدنيا: فمراءاتهم بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في الكلام ونحو ذلك.

- أقول هذا لطالب المنزلة في القلوب.

النوع الرابع: الرياء بالعمل.

كمرآة المصلى بطول القيام، وتطويل الركوع والسجود، وإظهار الخشوع، ونحو ذلك.

وكذلك بالصوم والغزو والحج والصدقة ونحو ذلك.

- وطلب العلم وتعليمه.

وأما أهل الدنيا: فمراءاتهم بالتبختر، والاختيال، وتحريك اليدين، وتقريب الخطى، والأخذ بأطراف الذيل، وإمالة العطفين، ليدلوا بذلك على الحشمة.

النوع الخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين.

كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا ليقال: "إن فلانًا قد زار فلانًا"، وإن أهل الدين يترددون إليه ويتبركون به، وكذلك من يرائي بكثرة الشيوخ ليقال: "لقي شيوخًا كثيرة واستفاد منهم"؛ فيباهى بذلك.

فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون، يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد، ومنهم من يطلب مجرد الجاه. فكم من عابد اعتزل في جبل، وراهب انزوى إلى دير، مع قطع طمعهم من مال الناس، لكنه يحب مجرد الجاه.

- بالرغم من أنه اعتزل إلا أنه يريد أن يقال عنه زاهد.

"ومنهم من يكون قصده المال، ومنهم من قصده الثناء وانتشار الصيت.

فإن قيل: هل الرياء حرام، أم مكروه، أم مباح؟

- فالجواب: أن فيه تفصيلًا، وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغيرها.

فإن كان الرياء بالعبادات: فهو حرام، فإن المرائي بصلاته وصدقته وحجته ونحو ذلك، عاص آثم؛ لأنه يقصد بذلك غير الله تعالى المستحق للعبادة وحده، فالمرائي بذلك في سخط الله.

وأما إن كان بغير العبادات: فهو كطلب المال على ما تقدم، لا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد، ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورة، فكذلك الجاه، وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكذلك الجاه".

- مثلما قلنا مسألة ال CV السيرة الذاتية أو ما يقيم به حياتك.

"وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام في قوله: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥]".

- ولكن هذا ليسد ثغرة، وليس هنالك من يسدها فهذا قد يكون فرض عين عليه.

"ولا نقول بتحريم الجاه وإن كثر، إلا إذا حمل صاحبه على ما لا يجوز على نحو ما ذكرنا في المال".

- ولكن لا يقصد به العبادة.

"وأما سعة الجاه من غير حرص على طلبه، ومن غير اغتمام بزواله -وإن زال- فلا ضرر فيه، إذ لا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلماء الدين بعده.

ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين، ولا يوصف بالتحريم.

وتحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس، إنما هو ليراه الناس، وكذلك كل تجمل لأجلهم لا يقال: إنه منهي عنه، وقد تختلف المقاصد بذلك، فإن أكثر الناس يحبون أن لا يروا بعين نقص في حال.

وفي أفراد مسلم، من حديث ابن مسعود رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ، قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ." [صحيح مسلم].

- إذًا لا يوجد إشكال في أن تلبس ثيابًا حسنة ويكون مظهرك حسنًا، ولكن الإشكالية في الكبر في أنه قلبي.

"ومن الناس من يؤثر إظهار نعمة الله عليه، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك".

- "إنَّ اللَّهَ يُحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتِه علَى عبدِه" [صحيح الترمذي].

❖ قال: **" فصل [في أن أبواب الرياء بعضها أشد من بعض]**

واعلم: أن بعض أبواب الرياء أشد من بعض؛ لأنه درجات.

أشدها وأغلظها: أن لا يكون مراده بالعبادة الثواب أصلًا، كالذي يصلى بين الناس، ولو انفرد لم يصلي".

- وهذا هو النفاق الاعتقادي -النفاق الأكبر-، وهذا العمل طبعًا باطل وحابط.

الدرجة الثانية: أن يقصد الثواب مع الرياء قصدًا ضعيفًا، بحيث لو كان خاليًا لم يفعله، فهو قريب من القسم الأول في كونهما ممقوتين عند الله تعالى.

الدرجة الثالثة: أن يكون قصد الرياء وقصد الثواب متساويين، بحيث لو انفرد كل واحد منهما عن الآخر لم يبعثه على العمل، فهذا قد أفسد مثل ما أصلح ، ولا يسلم من الإثم.

الرابعة: أن يكون إطلاع الناس عليه مقويًا لنشاطه، ولو لم يطلع عليه أحد لم يترك العبادة؛ فهذا يثاب على قصده الصحيح، ويعاقب على قصده الفاسد.

وقريب من ذلك الرياء بأوصاف العبادة لا بأصلها، كالذي يصلى وغرضه تخفيف الركوع والسجود ولا يطيل القراءة، فإذا رآه الناس أحسن ذلك فهذا أيضًا من الرياء المحظور؛ لأنه يتضمن تعظيم الخلق، ولكنه دون الرياء بأصول العبادات.

- فأصل النية ما يكون لغير الله فهو حابط، وأصل النية فيها تشريك فهو حابط، أصل النية لله ثم بعد ذلك طرأ عليه الرياء، واستجاب لداع الرياء؛ يحكم العمل على قدر ما فيه من خير.
لكن الأصل لا بد أن يكون لله، الأصل فيه تشريك بالتساوي أو بالزيادة لغير الله فهو حابط العمل.

قال: **"[بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل]**

قال: "اعلم: أن الرياء جلي وخفي.

فالجلي: هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه.

وأخفى منه قليلًا رياء لا يبعث على العمل بمجرده، لكن يخفف العمل الذي أريد به وجه الله تعالى، كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا نزل عنده ضيف نشط له وسهل عليه.

وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا في التسهيل، لكنه مع ذلك مستبطن في القلب، ومتى لم يؤثر الدعاء في العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات.

وأجلى علاماته: - أنه يسر باطلاع الناس على طاعته، فرب عبد مخلص يخلص العمل ولا يقصد الرياء بل يكرهه، ويتم العمل على ذلك، لكن إذا اطلع الناس عليه؛ سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة، فهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور".

- يظهر عليه شدة السرور.

"ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس. فيعلم أن الرياء كان مستكنًا في القلب استكنان النار في الحجر فأظهره منه اطلاع الناس أثر الفرح والسرور.

ثم إذا استشعر تلك اللذة بالاطلاع، لم يقابل ذلك بكراهة، بل قد يتحرك حركة خفيفة، ويتكلف أن يطلع عليه بالتعريض لا بالتصريح.

وقد يخفى، فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضًا ولا تصريحًا -أي بالعمل-، ولكن بالشمائل كإظهار النحول، والصفار، وخفض الصوت، ويبس الشفتين وآثار الدموع وغلبة النعاس الدالة على طول التهجد.

وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع عليه، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدؤوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وينشطوا في قضاء حوائجه، ويسامحوه في المعاملة، ويوسعوا له المكان، فان قصر في ذلك مقصر، ثقل ذلك على قلبه، كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها.

ومتى لم يكون وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق، لم يكن خاليًا عن شوب خفي من الرياء، وكل ذلك يوشك أن ينقص الأجر، ولا يسلم منه إلا الصديقون".

- فلا يريد جاهًا بأي حال من الأحوال، لا ثناء ولا مدح، ولا إشارة بالأصابع، ولا تخفيض ولا توسعة في المكان، ولا إعجاب likes، ولا views مشاهدات، ولا shares نشر.

وقد روينا عن وهب بن منبه، أن رجلًا من العباد قال لأصحابه: "إنا قد فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان، وأنا نخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا من هذا الطغيان أكثر مما دخل على الأهل الأموال في أموالهم، إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه، وإن كان له حاجة أحب أن تقضى لمكان دينه، وإن اشترى شئيًا أحب أن يرخص له لمكان دينه.

فبلغ ذلك ملكهم، فركب في موكبه، فإذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس، فقال العابد: ما هذا؟ قيل: هذا الملك، فقال لصاحبه: ائتني بطعام، فأتاه ببقل وزبيب وقلوب الشجر، فجعل يحشو شدقيه ويأكل أكلًا عنيفًا، فقال الملك: أين صاحبكم؟ فقالوا: هذا، كيف أنت؟ قال: كالناس، فقال الملك: ما عند هذا خير، وانصرف عنه، فقال: الحمد لله الذي صرفه عنى وهو لى لائم.

ولم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى، يجتهدون في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة، ويحرصون على إخفائها أعظم ما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم، كل ذلك رجاء أن يخلص عملهم ليجازيهم الله تعالى في القيامة بإخلاصهم.

- كتاب (تعطيل الأنفاس من حديث الإخلاص) للدكتور سيد حسين عفاني حفظه الله من أروع الكتب التي كتبت في هذا الأمر.
- وعلامات المخلصين بالذات إخفاء العمل، والخوف من الشهرة، واتهام النفس ومقتها من أعظم ما ينبغي أن يقرأ في هذا.

قال: "وشوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر، ومتى أدرك الإنسان من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته أو لا يطلع، ففيه شعبة من الرياء، ولكن ليس كل شوب محبطًا للأجر ومفسدًا للعمل، بل فيه تفصيل.

- **فإن قيل**: فما ترى أحدًا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته، فهل جميع ذلك مذموم؟

فالجواب: أن السرور ينقسم إلى محمود ومذموم.

فالمحمود: أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله، ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله تعالى أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله، فيسر بحسن صنع الله ونظره له ولطفه به، حيث كان يستر الطاعة والمعصية، فأظهر الله سبحانه عليه الطاعة، وستر عليه المعصية، ولا لطف أعظم من ستر القبيح، وإظهار الجميل، فيكون فرحه بذلك، لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم، أو يستدل بإظهار الله الجميل، وستر القبيح عليه في الدنيا، أنه كذلك يفعل به في الآخرة، فإنه قد جاء معنى ذلك في الحديث.

فأما إن كان فرحه باطلاع الناس عليه لقيام منزلته عندهم، حتى يمدحوه ويعظموه ويقضوا حوائجه، فهذا مكروه مذموم.

- فإن قيل: فما وجه حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل فيسره، فإذا اطلع عليه، أعجبه، فقال: "فقالَ لَهُ أجرانِ أجرُ السِّرِّ وأجرُ العَلانيةِ" [أخرجه الترمذي].

فالجواب: أن هذا الحديث ضعيف، وقد رواه الترمذي، وفسره بعض أهل العلم بأن معناه: أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير، لقوله عليه السلام: " أنتُم شهداءُ اللهِ في الأرضِ " [صحيح الجامع].

وقد روى في أفراد مسلم من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال: قيل: يارسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ فقال: " تِلكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ" [صحيح مسلم].

فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ويكرموه عليه، فهذا رياء.

- استحضار أن هذه الطاعة من الله تبارك وتعالى، وأنها منة، وأنه لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، وأن الله تبارك وتعالى هو الذي أوزعه أن يشكر، وجعله يقيم الصلاة، جعله ذكارًا شكارًا، مطواعًا، فالفرح بفضل الله عز وجل لا إثم فيه.

ولكن ما هو الفرح المذموم؟

- هو الفرح بالنفس والنظر إليها، أو الفرح بالجاه -أي تحصيل الجاه عند المخلوقين وليس عند الله تبارك وتعالى.

❖ **فصل [في بيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط]**

قال: "إذا ورد على العبد وراد الرياء، فلا يخلو:

- إما أن يكون ورد بعد فراغه من العبادة أو قبله، فان ورد عليه بعد الفراغ سرور بالظهور من غير إظهار منه، فهذا لا يحبط العمل؛ لأنه قد تم على نعت الإخلاص فلا ينعطف ما طرأ عليه بعده، لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحديث به، فأما إن تحدث به بعد تمامه وأظهره، فهذا مخوف، والغالب عليه أنه كان في قلبه وقت مباشرة العمل نوع رياء، فإن سلم من الرياء نقص أجره، فإن بين عمل السر والعلانية سبعين درجة.

- وأما إذا ورد الرياء قبل الفراغ من العبادة، كالصلاة التي عقدها على إخلاص -أصلها كان لله-، فإن كان مجرد سرور، لم يؤثر في العمل، وإن كان رياء باعثًا على العمل، مثل أن يطيل الصلاة ليرى مكانه، فهذا يحبط الأجر".

- نحن نقول في الحقيقة أن وارد الرياء إذا ورد، وكان أصل العمل لله فاستجاب له الإنسان؛ فيحكم على العمل على قدر ما فيه من خير.
- وإذا كانت الشرك في النية بدايةً فالعمل حابط.

إذا ورد عليه وارد الرياء وقاومه وجاهده فله أجران: أجر إخلاص العمل، وأجر المجاهدة .

- " وأما ما يقارن العبادة، مثل أن يبتدئ الصلاة على قصد الرياء، فإن أتمها على ذلك لم يعتد بها، وإن ندم فيها على فعله، فالذي ينبغي له أن يبتدئها من جديد، والله أعلم".

- هو يعني: لو كان أصلها لغير الله تبارك وتعالى فإنه ينبغي عليه أن يعيدها من جديد، أما إذا كان فيها بعض ما ذكرنا فإنه يجزئه الظاهر، ويستغفر الله على ما نقص من خشوعها الباطن وإخلاصها الباطن.

❖ **[باب في دواء الرياء وطريقة معالجة القلب فيه].**

" قد عرفت أن الرياء محبط للأعمال، وسبب لمقت الله تعالى وأنه من المهلكات، ومن هذا حاله، فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته.

وفى معالجته مقامان: -

أحدهما: في قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه.

والثاني: في دفع ما يخطر منه في الحال.

المقام الأول: اعلم أن أصل الرياء حب الجاه والمنزلة، وإذا فصل، رجع إلى ثلاثة أصول.

وهى حب لذة الحمد، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس.

ويشهد لذلك ما في "الصحيحين" من حديث أبى موسى رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فقال يارسول الله، أرأيت الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: "مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ " [صحيح البخاري].

- فمعنى قوله: "يقاتل شجاعة" أي: ليذكر ويحمد.
- ومعنى قوله "يقاتل حمية" أي: يأنف أن يقهر أو يذم.
- ومعنى: "يقاتل رياء" أي: ليرى مكانه، وهذه هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب.

وقد لا يشتهى الإنسان الحمد، ولكنه يحذر من الذم، كالجبان بين الشجعان، فإنه يثبت ولا يفر لئلا يذم. وقد يفتى الإنسان بغير علم حذرًا من الذم بالجهل، فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك إلى الرياء.

وعلاجه: أن الإنسان عندما يقصد الشيء ويرغب فيه إذا ظن أنه خير له ونافع ،إما في الحال أو في المآل؛ فإن علم أنه لذيذ في الحال ضار في المآل صار عليه اجتنابه وقطع الرغبة عنه.

كمن يعلم أن العسل لذيذ، ولكن إذا بان أن فيه سمًا أعرض عنه؛ فلذلك طريقة هذه الرغبة أن يعلم ما فيها من المضرة، فإن الإنسان متى عرف مضرة الرياء، وما يفوت من صلاح قلبه من المنزلة في الآخرة، وما يتعرض له من العذاب والمقت والخزي، هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق.

فإن رضى الناس غاية لا تدرك، فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق -لا يجتمعون أبدًا-، ومن طلب رضاهم في سخط الله، سخط الله عليه وأسخطهم عليه".

- والعكس صحيح: ومن طلب رضا الله عز وجل بسخط الناس رضي الله، ويرضى عنه الناس.

قال: " ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله له لأجل مدحهم؟".

- قال تعالى: { وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ} [الحج:١٨].

"ولا يزيد مدحهم رزقًا ولا أجرًا، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته.

وكذلك ذمهم لم يحذر منه؟ ولا يضره ذمهم شيئًا ولا يجعل أجله، ولا يؤخر رزقه، فإن العباد كلهم عجزة -فقراء ضعفاء، ظلمة جهلة-، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فإذا قرر هذا في نفسه؛ فترت رغبته في الرياء، وأقبل على الله تعالى بقلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يضره ويقل نفعه.

وأما الطمع فيما في أيدي الناس، فيزيله بأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنه لا رازق سواه، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلى المراد، لم يخل من المنة والمهانة، فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد؟!

ومن الدواء النافع: أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها".

- فأول شيء: معرفة بقيمة الناس في الحقيقة، فقرهم وعجزهم ومحدوديتهم، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا.
- قال ﷺ: "واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ" [صحيح الترمذي] وهذا هو العلاج الأول.

العلاج الثاني: "أن يعود نفسه إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش، فإنه لا دواء في الرياء مثل إخفاء الأعمال، وذلك يشق في بداية المجاهدة، فإذا صبر عليه مدة بالتكلف، سقط عنه ثقله، وأمده الله بالعون، فعلى العبد المجاهدة، ومن الله التوفيق.

■ **المقام الثاني:** في دفع العارض في أثناء العبادة، وذلك لا بد من تعلمه أيضًا، فإن من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وإسقاط نفسه من أعين الناس واحتقار مدحهم وذمهم؛ فإن الشيطان لا يتركه في أثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء.

فإذا خطر له معرفة الخلق بعبادته وإطلاعهم عليها، دفع ذلك بأن يقول: "ما لك ومال الخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك"، فأي فائدة في علم غيره؟! فإن هاجت الرغبة إلى آفة الحمد ذكرها آفات الرياء والتعرض للمقت، فيقاتل تلك الرغبة بكراهة المقت. فإن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة، ومعرفة آفة الرياء تثير كراهة.

❖ قال: **[فصل في بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب، وكراهة اطلاع الناس على الذنب وذمهم له].**

أما الأول: فاعلم أن في إسرار الأعمال: فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء.

وفي الإظهار: فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير .

ومن الأعمال ما لا يمكن الإسرار به كالحج والجهاد .

والمُظْهِر للعمل ينبغي أن يراقب قلبه حتى لا يكون فيه حب الرياء الخفي، بل ينوي الاقتداء به، ولا ينبغي للضعيف أن يقطع نفسه بذلك، فإن مثال الضعيف مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة، فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم وأقبل عليهم حتى تشبثوا؛ فهلكوا وهلك معهم.

فأما من قوي وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم؛ فلا بأس بالإظهار له لأن الترغيب في الخير خير.

وقد روي ذلك جماعة من السلف، أنهم كانوا يظهرون شيئًا من أحوالهم الشريفة ليُقْتَدَي بهم.

كما قال بعضهم لأهله حين احتضر: "لا تبكوا عليَّ، فإني ما نطقت بخطيئة منذ أن أسلمت" [سفيان بن عبد الله].

وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله لابنه: "إياك أن تعصي الله تعالى في هذه الغرفة، فإني ختمت فيها اثنتي عشر ألف ختمة".

ونحو ذلك كثير في كلامهم والله أعلم.

وأما الرخصة في كتمان الذنوب، فربما ظن ظان أن كتمان الخطايا رياء، وليس كذلك فإن الصادق الذي لا يرائي إذا وقعت منه معصية، كان له سترها؛ لأن الله يكره ظهور المعاصي ويحب سترها.

- إذا بليتم فاستتروا.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "اجتنِبوا هذه القاذوراتِ التي نهى اللهُ تعالى عنها، فمن ألَمَّ بشيءٍ منها فلْيستَتِرْ بسِترِ الله" [صحيح الجامع].

فهذا وإن عصي بالذنب لم يخل قلبه عن محبة ما أحب الله عز وجل، وهذا ينشأ عنه قوة الإيمان.

وينبغي أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضًا، فهذا أثر الصدق فيه.

ومن ذلك أن يكره ذم الناس له، من حيث إن ذلك يشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى، فإن الطبع يتأذى بالذم، وبهذه العلة أيضًا ينبغي أن يكره المدح إذا كان يشغله عن الله تعالى، ويستغرق قلبه، ويصرفه عن الذكر، فإن هذا أيضًا من قوة الإيمان".

- قال ﷺ: " احثُوا في وجوه المدَّاحينَ التُّرابَ" [السلسلة الصحيحة].

إذا سمعت المدح فقل: " اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني أحسن مما يظنون، ولا تؤاخذني بما يقولون".

❖ قال: **[فصل في ترك الطاعات خوفًا من الرياء]**

فإن كان الباعث له على الطاعة غير الدين: فهذا ينبغي أن يترك؛ لأنه معصية لا طاعة فيه.

وإن كان الباعث على ذلك الدين، وكان ذلك لأجل الله تعالى خالصًا: فلا ينبغي أن يترك العمل؛ لأن الباعث الدين -أمام الناس أو في الخلوات-.

وكذلك إذا ترك العمل خوفًا من أن يقال أنه مراءٍ -كإمامة أو دعوة-، فلا ينبغي ذلك لأنه من مكائد الشيطان.

قال إبراهيم النخعي: "إذا أتاك الشيطان وأنت في الصلاة، فقال: إنك مراء، فزدها طولًا".

وأما ما روي عن بعض السلف أنه ترك العبادة خوفًا من الرياء، كما روي عن إبراهيم النخعي أن إنسانًا دخل عليه وهو يقرأ في المصحف، فأطبق المصحف وترك القراءة، وقال: لا يراني هذا أني أقرأ كل ساعة، فيحمل هذا علي أنهم أحسوا من نفوسهم بنوع تزين فقطعوا.

- كانوا يخافون النفاق والرياء جدًا، ولذلك كانوا قد يقطعوا العبادة لتحسس أنفسهم بنوع من التزين، ولذلك كانوا يجتنبون المحافل والتزين والمراءاة وتجميع الحلقات حولهم، وأن يمشي الأتباع خلفهم .

❖ قال: **[فصل في بيان ما يصح من نشاط العبد بسبب رؤية الخلق وما لا يصح].**

قال: " قد يبيت الرجل مع المتهجدين، فيصلون أكثر الليل، وعادته قيام ساعة، فيوافقهم، أو يصومون فيصوم، ولولاهم ما انبعث هذا النشاط.

فربما ظن ظان أن هذا رياء، وليس كذلك على الإطلاق، بل فيه تفصيل، وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى، ولكن تعوقه العوائق".

- اجتماعية وسياسية واقتصادية، وتسهويه الغفلة، وربما كانت مشاهدة الغير سببًا لزوال الغفلة واندفاع العوائق.

" فإن الإنسان إذا كان في منزله تمكن من النوم على فراش وطيء وتمتع بزوجته، فإذا بات في مكان غريب، اندفعت هذه الشواغل، وحصلت له أسباب تبعث على الخير، منها مشاهدة العابدين".

- ومن هذا أهمية الاعتكاف في شهر رمضان .

قال: "وقد يعسر عليه الصوم في منزله لكثرة المطاعم، بخلاف غيره، ففي مثل هذه الأحوال ينتدب الشيطان للصد عن الطاعة، ويقول: إذا عملت غير عادتك كنت مرائيًا، فلا ينبغي أن يلتفت إليه، وإنما ينبغي أن ينظر إلى قصده الباطن، ولا يلتفت إلى وسواس الشيطان".

- فالعبرة بالعمل والنية.

" ويختبر أمره بأن يمثل القوم في مكان يراهم ولا يرونه، فإن رأى نفسه تسخو بالتعبد فهو لله، وإن لم تسخ كان سخاؤها عندهم رياء، وقس على هذا.

فهذه جملة آفات الرياء، فكن بحاثًا عنها، وتفقد نيتك، فإن الرياء أخفى من دبيب النمل.

وينبغي للمريد أن يلزم قلبه القناعة بعلم الله في جميع طاعته، وإنما يقنع بذلك من خاف الله ورجاه، ولا ينبغي أن يؤيس نفسه من الإخلاص بأن يقول: إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء، وأنا من المخلطين، فيترك المجاهدة في تحصيل الإخلاص، لأن المخلط إلى ذلك أحوج.

قال إبراهيم بن أدهم: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان: دخلت على صومعته فقلت له: منذ كم أنت في صومعتك هذه؟ قال منذ سبعين سنة، قلت: ما طعامك؟ قال: كل ليلة حمصة، قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة؟ قال: ترى (الدير) الذي بحذائك؟ قلت: نعم، قال: إنهم يأتوني في كل سنة يومًا واحدًا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظموني بذلك -وهذا لا يجوز-، فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة، ذكرتها عز تلك الساعة، فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة، فاحتمل ياحنيفي جهد ساعة لعز الأبد -وهو عز الآخرة-، فوقر في قلبي المعرفة.

فقال: أزيدك؟ قلت: نعم، قال: أنزل عن الصومعة، فنزلت فأدلى إلى ركوة فيها عشرين حمصة، ثم قال لي: ادخل الدير، فقد رأوا ما أدليت إليك.

فلما دخلت الدير، اجتمعت النصارى فقالوا: يا حنيفي، ما الذي أدلى إليك الشيخ؟ قلت: شيئًا من قوته. قالوا: وما تصنع به؟ نحن أحق به، ساوم به، قلت: عشرون دينارًا، فأعطوني عشرين دينارًا، فرجعت إلى الراهب، فقال: أخطأت، لو ساومتهم عشرين ألفًا لأعطوك، هذا عز من لا يعبده، فانظر كيف يكون عز من يعبده، يا حنيفي أقبل على عبادة ربك.

فقد بان بهذا أن استشعار النفوس عز العظمة في القلوب يكون باعثًا إلى الخلوة، فهذه آفة عظيمة، **وعلامة سلامته منها:** أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة".

- الكلمة التي قلناها المرة الماضية لأبو الدرداء: "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يكون الناس عنده كأمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أحقر حاقر".

"ويكون عمله عمل من ليس على الأرض غيره، فإذا خطرت خطرات ضعيفة ردها والله تعالى أعلم".

نختتم بهذا الكتاب الرياء ونبدأ المرة القادمة كتاب ذم